٦ المناهضون للتغيير

لقد استثارني وآلمني كثيرًا الحوار الذي أجراه الزميل الشاعر عبد الرحمن يوسف مع الأستاذ عصام سلطان نائب رئيس حزب الوسط .. والذي أكد لي أن الثقافة المصرية لم تتغير، وأن الثقافة التي سمحت بهيمنة حاكم وحاشيته لمدة ثلاثين عامًا ما زالت مستعدة للخنوع تحت وطأة مُتَجبِر جديد .. فالحاكم القادم هو الذي سوف يختاره هؤلاء المتكلمون من المثقفين الذين نَصَّبوا أنفسهم وصايا على الشعب الذي وصل عدد الفقراء والأميين فيه أكثر من ٤٢٪ من سكانه .. وسوف تحمل به إرادتهم وتكره إرادة الشعب ولادته .. مرض يضرب بقوة في أواصر الثقافة المصرية .. ثقافة الانسياق وراء الأصوات المرتفعة وبريق الكلمة المطبوعة ورنين الميكروفون الإذاعي وبهرجة الشاشة الفضائية.. الانسياق وراء أصحاب الطبول .. الذين يذهلون الناس بالخروج عن المألوف، والاعتماد على إباحية الحوار أو ما نسميه «الحوار البرنو أو برنو الحوار» الذي يتيح لصاحبه الخوض في ذمم الناس دون مبرر يذكر، أو منطق يتفق عليه، واضعين خلف ظهورهم تعاليم الإسلام التي حرمت وبشدة الخوض في زمم الناس، مؤكدة أن الخوض في زمم الناس كالخوض في أعراضهم.. لقد عانينا كثيرًا من تجبر ودكتاتورية نظام مبارك، التي اتخذت من الاستعلاء ثقافة في التعامل مع الشعب.. ومكثنا ثلاثين عامًا نحلم بالتغيير وانقشاع الظلم وانهيار عصبته، لنصحوا على دكتاتورية من نوع آخر

.. ديكتاتورية يقودها حفنة من المثقفين وأصحاب الرأي الذين اختزلوا إرادة الشعب في إرادتهم المتخبطة.. وصادروا كل صوت يختلف معهم .. فمع انطلاق الشرارة الأولى للثورة – ذلك الأمل المنتظر – انطلق معها جملة من المثقفين أصحاب الطبول المفوهة والأصوات المفرقعة ،، مدعيين أنهم مَنْ حملوا أداة الهدم والمخاطرة ورفعوا مشاعل الانتصار والتحرر.. وراحوا يهدمون كل قيمة ويتطاولون على كل بنيان.. يؤيدون كل حلم .. ويعطلون كل إنتاج.. لقد هزني حوار عصام سلطان وقذفه لنخبة من المثقفين وكتاب السياسة في مصر وخاصة الأستاذ سيد ياسين الذي أثرى المكتبة العربية فكرًا وعلمًا.. فماذا قدم سلطان للشعب المصري سوى حوارًا إعلاميًا هدامًا حصد له الشهرة في أوساط المهللين دون إضافة حقيقية لحياة الشعب.. وأنا لا أدري لماذا كل هذا السب والتشكيك في المجلس العسكري ورموز الفكر والثقافة .. لقد سقط النظام .. فلماذا تحاولون أن تسقطوا مصر..؟ ألسنا في حاجة ماسة للتغيير؟ .. ألسنا في أشد الحاجة للاستقرار وتجاوز المرحلة الانتقالية؟ لماذا نهرع إلى مثل هذه الحوارات التي تؤخر أكثر مما تقدم، وتهدم أكثر مما تبني؟ لماذا لا نتحاور في أمن مصر ومستقبلها.. أليست مصر هي الغاية والهدف؟ ماذا يستفيد الشعب من هدم قيمة علمية كالأستاذ سيد ياسين الذي عاف عصام سلطان كتاباته؟ ماذا يحصد الشعب من التشكيك؟ ما الغرض من الحملات اليومية التي يشنها الزميل عبد الرحمن يوسف وعصام سلطان وممدوح حمزة وغيرهم من المؤمنين بالشخصية الملهمة التي لا تسمع إلا صوتها ولا ترى في المرآة سوى وجهها؟ أنا لست ضد التغيير ولا ضد التطهير .. ولكنني ضد التغيير بالبلطجة والتخريب، وضد التطهير بالتشكيك والتلويث.. أنا مع التغيير المنظم والممنهج والمحدد الهدف والوسيلة والزمن .. التغيير القائم على الحوار البناء واحترام الآخر فكرًا وسلوكًا وثقافة وعقيدة.. التغيير الذي تَقِل ضحاياه وتُحمد عقباه وتسرع

خُطاه نحو الأفضل .. تغيير لا يكلف مصر دمًا يراق.. ولا مؤسسة عامة تحترق، ولا أمنًا يُستباح .. ولا عرضًا يغتصب .. ولا عدوًا يشمت ويستضعف .. أنا مع مصر وأمنها والإرادة الحقيقية لشعبها وليست الإرادة المغتصبة ولا المزيفة .. أيها الزملاء من الكتاب والثأريين .. مصر أمانة في أقلامنا وألسنتنا .. راعوا الأمانة يرحمكم الله.

□ □ □ □